96 - السيدة خليدة بنت قيس

الأنصارية زوجة النقيب

اسمها خليدة، والدها قيس بن ثابت، وزوجها أحد نقباء الأنصار الاثني عشر، إنه البراء بن معرور ﷺ، وقد ولدت له ابنه بشر بن البراء، وكان يقال لها: أم بشر.

أسلمت خليدة وبايعت النبي ﷺ، وروت عنه، وغرست في نفس ابنها بشر حبَّ الإسلام، والجهاد في سبيل رفع راياته، فخرج بشر مع النبي ﷺ إلى خيبر ففتحها الله على المسلمين، وهناك في خيبر وقع حادثٌ رهيب.

استشهاد ابنها

عن مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو اللَّيْثِيُّ، عَنْ أَبِي سَلَمَة قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَأْكُلُ الْهَدِيَّةَ وَلا يَقْبَلُ الصَّدَقَةَ، فَأَهْدَتْ لَهُ امْرَأَةٌ مِنْ يَهُودِ خَيْبَرَ شَاةً مَصْلِيَّةً فَتَنَاوَلَ مِنْهَا، وتَنَاوَل مِنْهَا بِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ، ثُم رَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ هَذِه تُخْبِرُني أَنَّهَا مَسْمُومَةٌ**»، فَمَات بِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ: «**ما حَمَلَكِ عَلَى مَا صَنَعْتِ؟**» فَقَالَتْ: إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ شَيْءٌ، وَإِنْ كُنْتَ مَلِكاً أَرَحْتُ النَّاسَ مِنْكَ، فَقَالَ فِي مَرَضِهِ: «**ما زِلْتُ مِنَ الأُكْلَةِ الَّتي أَكَلْتُ بِخَيْبَر، فَهذَا أَوَانُ انْقِطاعِ أَبْهَرِي**»[1].

وأخرج ابن سعد في طبقاته عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ ابْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ

(1) رواه: الدارمي/ كتاب: المقدمة/ باب: ما أكرم الله به النبي ﷺ من كلام الموتى/ برقم: (67).

أَبِيهِ أَنَّ أُمَّ مُبَشِّرٍ قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: مَا يُتَّهَمُ بِكَ يَا رَسُول الله؟ فَإِنِّي لا أَتَّهِمُ بِابْنِي شَيْئاً إلا الشَّاةَ الْمَسْمُومَةَ الَّتِي أَكَلَ مَعَكَ بِخَيْبَرَ وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَأَنَا لا أَتَّهِمُ بِنَفْسِي إلا ذَلِكَ، فَهَذَا أَوَانُ قَطع أَبْهَرِي**»[1].

وفي حديث آخر من طريق مُحمَّدِ بنْ إسْحَاقَ قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشة حَدَّثَتْهُ أَنَّهُ ﷺ حِينَ قَالُوا: خَشِينَا أَنْ يَكُونَ بِهِ ذَاتُ الْجَنْبِ، قَالَ: «**إِنَّها مِنَ الشَّيطَانِ، وَلَمْ يَكُن الله لِيُسَلِّطَهُ عَلَيَّ**»[2].

وفي رواية أخرى عن الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَن بْن عَبْدِ الله بْنِ كَعْب بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أُمِّهِ أَنَّ أُمَّ مُبَشِّرٍ دَخَلَتْ عَلى رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي وَجَعِهِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ، فَقَالَتْ: بِأَبِي وأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ، مَا تَتَّهِمُ بِنَفْسِكَ؟ فَإِنِّي لا أَتَّهِمُ إلا الطَّعامَ الَّذِي أَكَلَ مَعَكَ بِخَيْبَرَ، وَكَانَ ابْنُهَا مَاتَ قَبْلَ النَّبِيِّ ﷺ، قال: «**وأَنَا لا أَتَّهِمُ غَيْرَهُ، هَذَا أَوَانُ قَطْعِ أَبْهَرِي**»[3].

ويرى العديد من المسلمين أن رسول الله ﷺ مات شهيداً عليه أعظم الرحمات، وأطيب الصلوات، وأزكى التحيَّات وعلى من آذاه، أو فكَّر في إيذائه أكبر اللعنات، في الحياة، وبعد الممات.

سعيها للعلم والحفظ

وكانت نساء الأنصار يحببن العلم، وكلما نهلن منه طلبن المزيد، وكانت ينابيعه عند رسول الله ﷺ، وفي بيوت أمهات المؤمنين رضوان الله

---

(1) رواه: أبو داود/ كتاب: الديات/ باب: فيمن سقى رجلاً سماً أو أطعمه فمات أيقاد منه/ برقم: (3913)، وهو في الطبقات عند ابن سعد (8/ 314).

(2) رواه: الإمام أحمد/ كتاب: باقي مسند الأنصار/ باب: باقي المسند السابق/ برقم: (25141).

(3) رواه: أحمد/ كتاب: باقي مسند الأنصار/ باب: حديث امرأة كعب بن مالك/ برقم: (22807).

عليهنَّ، ولا سيما الصِّدِّيقة بنت الصِّدِّيق عائشة بنت أبي بكرٍ ﷺ، لذلك كانت الأنصاريات يكثرن من التردُّد على بيت عائشة لينهلن من علم رسول الله ﷺ وعلمها.

وكانت خليدة واحدة من المسترشدات الساعيات في طلب العلم، لذلك قامت بينها وبين ابنة الصدِّيق علاقة ودٍّ وطيدة حملت إليها أينع الثمرات، ومنحتها الكثير من الخيرات، فالعلم لا يذهب إلى أحد، ومن أراده سعى إليه في موارده.

وقد روى ابن ماجه عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنِ الْحَارِثِ بْنِ فُضَيْلٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْن كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ كَعْباً الوَفَاةُ أَتَتْهُ أُمُّ بِشْرٍ زَوْجُ الْبَرَاءِ بْنِ مَعرُورٍ فَقَالَتْ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَن، إِنْ لَقِيتَ فُلاناً فَاقْرَأْ عَلَيْهِ مِنِّي السَّلامَ قَالَ: غَفَرَ اللهُ لَكِ يَا أُمَّ بِشْرٍ، نَحْنُ أَشْغَل مِنْ ذَلِكَ، قَالَتْ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَمَا سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ فِي طَيْرٍ خُضْرٍ تَعْلُقُ بِشَجَرِ الْجَنَّةِ**؟» قَالَ: بَلَى، قَالَتْ: فَهُوَ ذَاكَ[1].

رحم الله خليدة أم بشر وزوجها وابنها، وجمعهم مع الشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

(1) رواه: ابن ماجه/كتاب: ما جاء في الجنائز/باب: ما جاء فيما يقال عند المريض إذا حُضِرَ/برقم: (1439)، وهو في الطبقات عند ابن سعد (8/ 313).